المجلد: 16 العدد: 02/ سبتمبر 2020
ص: 70 - 94
ISSN: 1112-7015
EISSN: 2602-5973

جدل الأنا والآخر في روايتي "بعد الغروب" و "غرام حائر" لمحمد عبدالحليم عبد الله

Controversy of “the ego and the other” in my novels "After sunset" and "Confused grams"

د. عزوز علي إسماعيل سالم*

معهد القاهرة العالي للغات والترجمة الفورية – القاهرة (مصر)

azozah@hive.com

تاريخ الإرسال: 2020/06/08	تاريخ القبول:2020/06/17	تاريخ النشر: 2020/09/01

ملخص: هذا البحث حول "جدل الأنا والآخر" عند الأديب المصري **محمد عبدالحليم عبدالله** في روايتين له الأولى: رواية "**بعد الغروب**" وهي مثال حي لجدل الأنا والآخر، باعتبار أنَّها سيرة ذاتية تألم صاحبها كثيراً اجتماعياً وذاق ويلات الحياة، فهي صورة واقعية لعذابات السنين، جادلت الآخرين، بدءاً من الأقارب الذين لم يهتموا كثيراً بالفقر الذي حاق بالكاتب وأسرته بعد ضياع أرض والده في الرهن، ومروراً في البحث عن مصدر رزق بعد أن حاصره الجوع، فلم يجد إلا أرض فريد بك الثري يعمل فيها ناظراً لها، ليرتبط عاطفياً بأميرة ابنة الرجل الثري، وانتهاء بتلك المعشوقة التي رفضت الارتباط به ليتألم أكثر، ويترك الدنيا ويهرب ليعيش في القاهرة مع الكتب والكتابة، وبعد عشرين عاماً تقع رواية "بعد الغروب" في يد تلك المعشوقة، وتقدم اعتذارها له، فقد كانت الوصية هي السبب في منعها الزواج من رجل فقير، من هنا كانت الرِّواية "السيرة الذاتية" في حاجة إلى دراسة **سيسيولوجية الأنا** وعلاقتها الجدلية بالآخر. والرواية الثانية "**غرام حائر**" والتي تتناص مع الأولى في الأمر نفسه في الجدال مع الآخر سواء أكان هذا الآخر قريباً أو غريباً أو معشوقاً أو صديقاً أو حتى الحياة نفسها، ومدى قسوتها عليه. يأتي ذلك من خلال معطيات الصدق الفني في التعبير، وما حاق بأهل الكاتب بعد الحرب العالمية الثانية والفارق الطبقي الذي عزف عليه كثيراً، فكانت حادثة حبه لتلك الفتاة ورفض الفتاة الزواج منه نظراً لفقره، هي القنبلة التي فجرت ما بداخله عبر صفحات الرواية كثيراً من الآلام والحكايات.والفارق الطبقي الذي أذله وأهانه، والنهاية كانت المحبوبة التي أعطته في البدء قوة عشق لا يستهان بها، ثم تنصلت منه بعد ذلك، فكانت أعماله تعبيراً واقعياً عن الحياة، وأصبح نسق التخييل يعتمد الشك في كل شيء، وأصبح التعبير الذاتي طريقاً من طرق الكاتب، فلم يعد يصدِّق أحداً بعد ذلك الانكسار من أميرة ابنة الأثرياء، بل والحياة بأثرها.

الكلمات المفتاحيّة: الخيال، العشق، الألم، الغدر، الفقر، الثراء، الندم.

Abstracat: This is a research of "The Controversy of the Ego and the Other" by the Egyptian writer Mohamed Abdel Halim Abdullah in his first two novels: First one is the novel "After the sunset", which is a vivid example of the ego and the other’s controversy, as it is a biography whose owner suffered a lot socially and tasted the ravages of life, as It is a realistic picture of the torments of years, It argued others, starting with relatives who did not pay much attention to the poverty that afflicted the writer and his family after the loss of his father’s land in foreclosure, and go through the search for a source of livelihood after he was blocked by hunger, he found only the land of Farid

* المؤلف المرسل

Bek the rich; in which he worked as a guard, to link emotionally to a princess the daughter of the rich man, by the end his lover who refused to beengaged with him, thing that may him to suffer more, he leaves the world and runs away to live in Cairo with books and writing, after twenty years the novel "After sunset" falls in the hands of that lover, she apologizes to him, he understand finally that the will prevented her from marrying a poor man. Hence, the novel is an "Autobiography" needed to study the psychology of the ego and its dialectical relationship to the other. The second novel, "Confused Gram," which deals with the first one in the same matter of the dispute of ego with the other, whether this other is relative, stranger, lover, friend, or even life itself, and its cruelty to him. This comes through the data of artistic sincerity in the expression, and what befell the family of the writer after the Second World War and the class difference that he played a lot, so the incident of his love for that girl and the girl's refusal to marry him due to his poverty, is the bomb that exploded what was inside him in pages of this novel with a lot of pain and tales. The class difference that humiliated and insulted him, and the end was the darling that gave him in the beginning a force of love to be reckoned with, then she repudiated him, so his works were a realistic expression of life, and the pattern of imagination became based on doubt in everything, and self-expression became a way of the writer, no longer believed anyone after the break from the princess who is the daughter of the wealthy, not only that but also life and its effects

Key words: Imagination, Adoring, the pain, Regret, Treachery.

توطئة

محمد عبد الحليم عبد الله له أعماله المتميزة، التي تبرهن على عقلية متفتحة وتعي ما تسرده جيداً، وهو ما رأيناه في معظم أعماله والتي منها روايتا "بعد الغروب" و "غرام حائر". فبعد الغروب" مثال حي لجدل الأنا والآخر، باعتبار أنَّها سيرة ذاتية تألم صاحبها كثيراً اجتماعياً وذاق ويلات الحياة، فهي صورة واقعية لعذابات السنين، جادلت الآخرين، بدءاً من الأقارب الذين لم يهتموا كثيراً بالفقر الذي حاق بالكاتب وأسرته بعد ضياع أرض والده في الرهن، ومروراً في البحث عن مصدر رزق بعد أن حاصره الجوع، فلم يجد إلا أرض فريد بك الثري يعمل فيها ناظراً لها، ليرتبط عاطفياً بأميرة ابنة الرجل الثري، وانتهاء بتلك المعشوقة التي رفضت الارتباط به ليتألم أكثر، ويترك الدنيا ويهرب ليعيش في القاهرة مع الكتب والكتابة، وبعد عشرين عاماً تقع رواية "**بعد الغروب**" في يد تلك المعشوقة، وتقدم اعتذارها له، فقد كانت الوصية هي السبب في منعها الزواج من رجل فقير، من هنا كانت الرِّواية "السيرة الذاتية" في حاجة إلى دراسة سيسيولوجية الأنا وعلاقتها الجدلية بالآخر؛ وهو الأمر الذي يتقارب في الطرح بشكل أو بآخر مع رواية "**غرام حائر**" أو أن رواية "غرام حائر" تتناص معها، فنرى جدلية الآخر، سواء أكان هذا الآخر قريباً أو غريباً أو معشوقاً أو صديقاً أو حتى الحياة نفسها، ومدى قسوتها عليه. يأتي ذلك من خلال معطيات الصدق الفني في التعبير، وما حاق بأهل الكاتب بعد الحرب العالمية الثانية والفارق الطبقي الذي عزف عليه كثيراً، فكانت حادثة حبه لتلك الفتاة ورفض الفتاة الزواج منه نظراً لفقره، هي القنبلة التي فجرت ما بداخله عبر صفحات الرواية كثيراً من الآلام والحكايات. الآخر عند الأنا الساردة هم الأغنياء في المقام الأول، والأصدقاء، والفارق الطبقي الذي أذله وأهانه، والنهاية كانت المحبوبة التي أعطته في البدء قوة عشق لا يستهان بها، ثم تنصلت منه بعد ذلك،

فكانت أعماله تعبيراً واقعياً عن الحياة، وأصبح نسق التخييل يعتمد الشك في كل شيء، وأصبح التعبير الذاتي طريقاً من طرق الكاتب، فلم يعد يصدِّق أحداً بعد ذلك الانكسار من أميرة ابنة الأثرياء، بل والحياة بأثرها.. سنحاول في هذا البحث تقصي ذلك الجدل وتلك الإشكالية بين الأنا والآخر والبحث في آليات الإبداع عند الكاتب، ومدى اتساع الأفق في المتخيل السردي لديه، فهو كاتب له روايات عديدة وتأتي روايتا "بعد الغروب" و"غرام حائر" في مقدمة رواياته التي تميزت بالفعل بالإبداع، كما كان الحال في "شجرة اللبلاب".. فهو بالفعل قد جعلنا نسمع ونرى ما بين السطور في معظم أعماله، خاصة "بعد الغروب" تلك الرواية الرائعة التي تؤكد لنا مقولة جوزيف كونريد في بداية روايته "زنجي ميرفيوس" والتي يقول فيها: "مهمتي أن أجعلك تسمع، أن أجعلك تشعر، والأهم من ذلك كله أن أجعلك ترى هذا كل ما في الأمر وأهم شيء فيه". وكانت الإشكاليات الكبرى التي واجهت الباحث أن أعماله لم يقدم عنها أعمالاً نقدية تتناسب مع حجمها، وكان أهم عمل كُتب عن أعمال محمد عبدالحليم عبدالله كتاب "الغروب السحري" للدكتور حلمي محمد القاعود، وبعض الرسائل العلمية نحو رسالة قاسم بن موسى بلعديس، بنية الخطاب الروائي عند محمد عبدالحليم عبدالله ، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري بقسنطينة، الجزائر 2006 . فضلاً عن وجود مقالات عديدة هنا وهناك، ولا بد وأن نذكر في البدء أن روايات السيرة الذاتية في البدايات كانت السبب في إنعاش الحركة الروائية، وهو ما ظهر بجلاء بعد أن كُتبت "الأيام" للدكتور طه حسين1929، و"عودة الروح" لتوفيق الحكيم1933، و"سارة" للعقاد1938. لذلك يقول الدكتور أحمد درويش: "السيرة الذاتية لعبت دوراً مهماً في إنعاش الرِّواية العربية منذ رواية "علم الدين" لـ "علي مبارك" وصولاً إلى "أصداء السيرة الذاتية" لنجيب محفوظ"[1]. ونحن لا بد أن نعترف بأن هناك تداخلاً بين الرواية والسيرة الذاتية Autobigraphy أو بين الرواية ورواية السيرة الذاتية Autobigraphical وهو الأمر الذي يعتبر من إشكاليات السيرة الذاتية التي تعد رواية، ولكن سأعتبر أن "بعد الغروب" رواية سيرة ذاتية بكون وجود تلك المقومات الفنية للرِّواية أولاً والتعبير عن الذات وما انتابها ثانياً، كما الحال في رواية"زينب" لهيكل ورواية، "قنديل أم هاشم" ليحيى حقي، وغيرهما من الروايات. وكان المنهج المتبع في هذا العمل المنهج الاجتماعي؛ لأنه أقرب المناهج لدراسة هاتين الروايتين، لأن الكاتب يتناول سيرته الذاتية، فكان من الأنسب أن أستخدم المنهج الاجتماعي، وهو ما توصلت من خلاله إلى نتائج أتمنى أن تكون مرضية بعون الله.

بدء الألم /التأزيم في "بعد الغروب"

تبدأ أزمة البطل في هذه الرِّواية مع حصوله على كلية الزراعة، والتي دخلها رغماً عنه، فقد كان الوالد يأمل أن يدير أرضه التي تبلغ عشرين فداناً، وهو لا يعلم أنها ستُنتزع منه بفعل التجارة الخاسرة، ولم يبق له منها سوى خمسة أفدنة فقط. وفي الوقت الذي أراد الابن أن يبشر والده بحصوله على تلك الكلية التي كانت حلم ذلك الأب رأى الابن أباه منكسراً منحسراً في عباءته، يبدو عليه الهزال والضعف، وفي الوقت الذي كان

يأمل فيه الابن رؤية فرحة أبيه بحصول ابنه على ما أراد، رأى ذلك الاعتذار من والده الذي أجبره دخول هذه الكلية، لأن كلية الآداب كانت حلمه، ورأى كذلك الصدمة الكبرى، بفقد تلك الأرض التي عاش طوال عمره محافظاً عليها. فقد رهن الوالد تلك الأرض من أجل قرض اقترضه من البنك لتوسيع تجارته، ولكنه لم يستطع توسيع تلك التجارة بسبب الكساد الحادث آنذاك، وأصبح مستأجراً للأرض بعد أن كان مالكاً لها إلى أن أتى من يشتريها، وما زاد النفس ألماً أن من اشترى الأرض كان من القرية نفسها وممن افتعل المشاكل مع الوالد صاحب الأرض. كل تلك الأمور عادت على الابن بالألم والحسرة وأراد الوالد أن يسرد لابنه ما حدث وبطريقة أدبية رهيفة: "اسمع يا بني: كثيراً ما يحمل الأبناء أخطاء آبائهم وهم داعمون، ولعل الله لم يغرس في قلوبنا حب الولد والحرص على إيجاده إلا ليصل بشبابه شيخوخة أبيه، ويصلح بصوابه خطأ والده فيحيا الأب بولده"[2] إلا إن الابن بكى حين استمع إلى هذا الكلام من والده فعرف الأب أن ابنه الآن يستطيع أن يتحمل المسؤولية فقد كانت لتلك الكلمات أثرها على هذا الشاب المقبل على الحياة، حينها قال الوالد له وبعد أن رأى دمعات تفر من عينيه "هذا حسن لقد كشفت عن برك لوالدك بهذه الدموع ولا مناص من أن تسمع هذه القصة"ص8.

لم يتوقع الابن تلك النهاية المؤلة لأبيه وأن الأرض قد ضاعت بفعل ذلك الرهن، وقبل أن يسرد له الوالد ما حدث له فقد رأى في عيني أمه ذلك الألم الذي ألم بالأسرة ويعبر عن ذلك تعبيراً دقيقاً بقوله: "وأيقنت أن خطراً حاق بالأسرة"، بعد أن علم بأن الخادمة لم تكن موجودة، وبعد أن أعلمته أمه أنهم ليسوا في حاجة إليها الآن، وأنه استشرف أموراً عديدة قد حدثت، والتي تأكد له حدوثها حين أعلمه الوالد بها، ومن هنا كان لا بد على الابن أن يبحث عن وظيفة، وقال الجميع بالفعل نحتاج إلى تلك الوظيفة لأن الأمر لم يعد كما كان ولا بد أن نواجه الحقيقة التي أصبحنا فيها. فالحياة الاجتماعية التي كان يحياها مع والديه من الدعة والراحة لن تعود مرة أخرى إلا بالعمل والبحث عن سبيل آخر، ويؤكد ذلك بقوله: "وجرى في جسدي تيار بارد وأحسست فداحة المسؤولية"، ويؤكد على ذلك أيضاً أنه لا بد أن يكون على قدر تلك المسؤولية في قوله ص12: "ولا أحب شكوى الحال ولا شكوى المقال". من هنا أخذ على عاتقه البحث من أجل تعويض ما كان ومن أجل ألا يشعر والديه بفداحة ما ألم بهما وهما أعلم به منه، فسافر إلى القاهرة في ذلك الفجر الذي يعتبر آخر عهده بالقرية التي عاش فيها شطراً من حياته. وأصبح السرد الروائي لهذا العمل يعتمد على شيئين الأول تاريخي أي تاريخ الزمن الذي عاشه الكاتب في منتصف القرن الماضي والثاني على القص، أو الحكي وكيف أنَّ الأدب محاكاة للواقع وتعبير حقيقي عن تلك الأحداث التي تمور بذواتنا؛ سواء تأثرنا بها أم لم نتأثر بها، ومرت مرور الكرام وهو ما دعا بول ريكور إلى التأكيد على أن هناك انسجاماً بين السرد التاريخي والسرد القصصي، سواء قصد بذلك التاريخ بأحداثه ومشتملاته أو التاريخ الزمني للحوادث مع فنيات القص"بهذه

الطريقة يكون فعل – إن لم نقل فن- السرد أو القصص جزءاً من التوسطات الرمزية للفعل التي ربطتها بالفهم السبقي للحقل السردي ووضعته تحت مسمى المحاكاة، بهذا المعنى يمكننا القول إن كل فنون السرد وفي مقدمتها تلك المتعلقة بالكتابة، هي تقليد للسرد كما يمارس فعلاً في تعاملات الخطاب العادي"[3]. وحاول محمد عبدالحليم عبدالله أن يسير في هذا المنحى وهو التقليد أو المحاكاة للواقع المعيش ورصد التغيرات الحياتية لتلك الأسرة التي تألمت كثيراً، وفي الوقت نفسه يحكي حاته البائسة التي جعلته في رحلة بحث دائم عن كينونته وعن حبه للأدب. وهو ما يذكرنا بما رصده لوسيان جولدمان والذي يعتبر أول من تناول الرواية من ناحية طابعها الاجتماعي وقد وصف الرواية بأنها "قصة بحث عن قيم أصيلة في مجتمع متدهور"[4]. وما نلاحظه هنا في هذا العمل أن الكاتب يثور على الواقع وما فعله فيه، وكيف أن الأرض التي عاش على خيرها يجب أن تعود له مرة أخرى وهو ما فعله بطريقة أدبية في نهاية العمل بحكم أن الكاتب برجوازي يسعى للوصول إلى الأفضل دائماً واستطاع أن يحصل على أربعين فداناً من الزراعة لتصبح ملكه. وهذا الأمر هو الذي جعل فيصل دراج يصب جام غضبه على يوسف القعيد، وعلى ما كتبه في فترة الستينيات وكيف أن يوسف القعيد لم يقترب من الفلاح ومن البطل الحقيقي للأرض والمحافظة على الأرض، تلك الأرض التي حزن على ضياعها الأديب والكاتب محمد عبدالحليم عبدالله في "بعد الغروب" وقد ذكر فيصل دراج قوله "إن رؤية يوسف القعيد زيفت الواقع المختمر بالثورة. ولأن يوسف القعيد برجوازي التركيب والتفكير وطفا على سطح الحياة الأدبية في زمن تمكن فيه اليمين من وسائل النشر، والتقييم والمنح والمنع، بينما هاجرت الأقلام اليسارية الأصيلة، لكي تنشر إنتاجها وهو أكثر جودة وأصالة خارج الحدود"[5]

الأنا الساردة و الآخر

نجد الأنا الساردة، رغم ما حدث لها من انهزام وانكسار وأصبح واجباً عليها البحث من أجل العمل، حين أقدم البطل يستجدي الموظف الكبير في وزارة الزراعة، ليعطيه خطاباً من نائب الناحية التي ينتمي إليها والد البطل عبدالعزيز، في الوقت الذي تمنى فيه أن يعود ويذكر لوالده بأنه لم يجده أو أنه مشغولٌ دائماً في لجانه، إلا إن التربية أبت ذلك، فهو لم يكذب على والده من قبل، ولكن ما جعله يتردد في إعطاء الموظف ذلك الخطاب حين فضه وقرأ ما فيه فوجد فيه عبارة مؤلمة، وكيف أن النائب أوصى الموظف بأن يدبر له عملاً وذكر له "**بأنه ابن فقير أناخ عليه الزمن**" فقد تمنى عبدالعزيز، ذلك الشاب الذي جاء بحثاً عن عمل بعد ما حدث لوالده، تمنى لو أنه لم يلتق بذلك الموظف الكبير، يقول السارد: "كانت إرادتي نهباً بين حاجتي وحيائي، يتجاذبان فيما بينهما كما تشد خيطاً من المطاط بين ذراعيك فيمتد ثم ينقطع متى فرغت طاقته.. وأخيراً كان للحاجة النصيب الأكبر من إرادتي لأنني استرجعت الصورة المؤثرة التي ودعتني بها أسرتي، وتمثلت بوارف الرجاء التي رأيتها على وجه أبوي في نور المصباح الريفي الساذج فسرت متثاقلاً"ص35. فالحياء كان يمنعه أن يدخل إلى ذلك الموظف كي يكون شفيعاً له في عمل يسد به الرمق، ويعود على الأسرة بالخير، إلا

إن الساعي أعلمه بأنه غير موجود، فقد كان في اجتماع اللجان ثم غادر المكان، فرغم أن السارد/الكاتب قد سُرَّ بما سمع وأنه لن يقابله الآن إلا إن ما بداخله يعتصر ألماً، فقد جاء إلى هنا بحثاً عن تلك الوظيفة، خاصة أنه قد صادف زميلاً له في الوزارة، وهو ينهي أوراقه بعد أن نال وظيفة في الزراعة بصعيد مصر، وكيف أنَّ هذا الزميل ذكر بأنه لا بد من واسطة كي يكون هناك تعيين، يقول الكاتب ص36: "ودرت على عقبي فإذا بالذي يناديني زميلٌ تخرج معي هذا العام فأقبلت عليه متهللاً مسلماً، ودار بيننا حديث فهمت منه أنه عين مهندساً زراعياً في الصعيد، ثم قال لي: وأنت؟ قلت: لا أزال حتى الساعة خريج كلية الزراعة فقط. قال: وهل تسير وحدك في هذه الطريق الغامضة، إن طريق الوظائف الآن يحتاج إلى دليل". الكاتب هنا يؤكد وجوب الواسطة أوالمحسوبية التي أرهقت كاهل الجميع، وهذا الأمر كان في أربعينيات القرن الماضي وما أشبه اليوم بالبارحة فالواسطة هي سيدة كل شيء للأسف الشديد، لذلك نجد الرجل المناسب في غير المكان المناسب، وكثيرة هي تلك الأزمات التي تنشأ بسبب الفشل في هذا العمل أو ذلك بسبب أن الأكفأ لا يأخذ مكانه بل إن المحسوبية أو الواسطة تفعل فعلها. من هنا نقول الأنا الساردة أو أنا الكاتب تتجادل مع النفس ومع الآخر، سواء أكانت تلك التي جاء مرغماً إليها بحثاً عن وظيفة أو ذلك الصديق الذي تم تعيينه بالفعل، فهو لم يجد الموظف الكبير حتى يرتاح من عناء البحث عن عمل، وأن يكون ذلك الموظف طريقاً أو سبيلاً كما قال له صديقه إلى التعيين وإيجاد فرصة عمل له، وفي جميع الأحوال هو راض في ذلك المسعى رغم ما يكتنفه من آلام نفسية واجتماعية، فالاجتماعية تكمن في العائلة والأسرة التي تركها في البلد ومن أجلها أتى باحثاً عن وظيفة، والنفسية في ذلك الموظف الكبير والذي يحمل له شفاعة مؤلمة بأنه "**ابن رجل فقير أناخ عليه الزمن**".

لم يكن هناك جدل بين الموظف الكبير وبين السارد/ البطل، بل كان الجدل بين البطل وذاته حين ذاق الذل من قبل ذلك الموظف، والذي من الفترض أن يكون شفيعاً له لإيجاد وظيفة، ولكن الأمر انقلب على عقبيه، فقد أفاد الموظف الكبير بأن لا بُدَّ على النائب الذي أرسلك أن يجد المكان الخالي حتى نقوم بالبحث وتعيينك فيه، ومن هنا كان الألم الذي اعتصر قلب البطل عبدالعزيز، وازداد ألماً حين أعلمه ذلك الموظف بأن عليكم إيجاد المكان المناسب، وأنا أساعدكم في إكمال الشطر الثاني وهو التعيين، فاحتار المسكين الذي ترك والده في البلد في انتظار وظيفته الجديدة، يقول الكاتب في نهاية هذه الواقعة والتي بها ختم الأمر وحسمه مع تلك الواسطة التي لم تسمن ولا تغني من جوع، بل أرادت إذلال الآخر: "قلت شكراً، ودرت على عقبي فاراً من الحجرة في بيته بنفس حالتي التي فررت بها من الردهة في الوزارة..لقد كنت أريد أن أنشق الهواء" ص40. تعبير يليق بالموقف الصعب على النفس الحرة، فقد أراد المسكين أن يستنشق الهواء، بعد ذلك الجدال المذل للفقير، فأصبح عبدالعزيز بين إذلالين الأول من النائب الذي أوصى في خطاب الشفاعة

بأن هذا المسكين ابن رجل ضاقت به الدنيا أو كما قال أناخ به الزمن، وبين عدم تمكن هذا الموظف من إيجاد وظيفة له. الأمر الذي جعل البطل يذكر تلك المحنة التي ألمت به وبأسرته بل أصبح الحب نفسه الذي كان في السابق لا قيمة له الآن، بحكم أن الآن ليس له إلا البحث عن لقمة العيش ويدخل في جدل مع صديقه صالح فيتهمه صالح بأنه أناني لا يحب إلا نفسه فقط، يقول الكاتب: "على أنني رقيق القلب بحيث ينفد من شغافي كل مس خفيف، وقد كان لي أيام تلمذتي هوى مثالي طاهر عذري خلقته المجاورة أو المصادفات، ثم جرى لغير غاية واضحة ثم سكت الحب وتكلم الرغيف فنسيت"ص42. فلا يعجب ذلك صديقه صالح ويرد عليه بقوله: "تحيا الأنانية؛ إن الأنانيين مستريحون" فيرد البطل بكلمات موجعة: "لقد أخطأت فهم الأنانية إذا قصدت بها أن المرء يعيش في نطاق نفسه، بحيث تكون نفسه وحدها هي الدنيا بحذافيرها، فيحقق لها الخير ولو أركب غيره مراكب الهلاك، هذا لا يسمى أنانياً إنما هو شرير...ولكي أزيد الأمر وضوحاً لك يا صديقي، أقول إن الأنانية عندي تقابلها الإنسانية، فإذا أردت ألا تكون أنانياً فأحب كل إنسان، وكل وطن، ولكن، هل تستطيع"ص43.

أشار إليه صديقه إلى أن هناك عملاً قد يسد الرمق ويكون مرضياً له، وبعد أن قابل صاحب الشأن أو صاحب العمل اتفقا على أن يكون الأجر ستة جنيهات، فوافق عبدالعزيز، وبعد أن تنحى جانباً عبدالعزيز وصديقه الذي أتى به إلى هذا المكان وجدا إعلاناً في إحدى الصحف، ففرح عبدالعزيز على اعتبار أن صديقه يذهب إلى هذا الإعلان، ويتقدم إليه، ولكن صديقه رفض وفضل أن يظل في القاهرة على أن يذهب إلى الأرياف ليكون ناظراً زراعة هناك، يقول الإعلان: "**مطلوب ناظر زراعة له مؤهلات أو كفاية خاصة، ويفضل المتمرن، والمقابلة شخصياً بالعنوان المذكور**"ص52. هذا الإعلان يعتبر محور الرواية أو النقلة الكبرى في حياة البطل بكون أن هذا العمل سيرة ذاتية للكاتب محمد عبدالحليم عبدالله، ونعلم أيضاً أن العزبة التي سيذهب إليها الكاتب كانت مصدر إلهامه في كتابة عدد من الروايات، ومنها هذه الرواية والتي وقع من خلالها في حالة عشق وغرام مع ابنة صاحب هذه الاقطاعية الكبيرة من الأراضي الزراعية، وأصبح بالفعل ناظراً لهذه الأراضي. تلك الصبية التي رآها أول مرة قادمة مع أبيها لمقابلة المتقدمين لشغل وظيفة ناظر الزراعة، وجاء دور الكاتب في التقدم لمقابلته فنظر حوله فوجد مكتبة بها كتب كثيرة فجالت عيناه على عناوين تلك الكتب فنظر إليه الرجل وعلم أنه مثقفٌ وأحرجه بأدب "هل تسمح بالانتباه؟! فطفر دمي كله إلى وجهي الأسمر وألهب الخجل مشاعري واندفعتْ من فمي عبارة أحكمتْ صوغها الأقدار: عفواً سيدي فما أتشاغل، وإنما هي نظرة ودٍ لا نملك دفعها، ألقيتها على أصدقاء. زراعي وأديب؟! . هما غذاءان ليس بينهما تناقض: مطلب للجسم ومطلب للروح، وقد جمع "تلستوي" بين الفأس والقلم، وأجاد"البارودي" نظم القصيدة والمعركة، ووزن"الجزار" اللحم والقريض"ص56. هنا نلمح البداية الموفقة من عبدالعزيز وكيف أنَّ الرجل بأدب جم يتحدث معه رغم التفاتته عنه في بدء دخوله إليه، وعلم الرجل كذلك أنه على علم بمثل هذه

الكتب وأصحابها، بقوله هم أصدقاؤه، وقد وافق فريد بك على أن يعمل الكاتب لديه في أرضه التي تبلغ 300 فدان قائلاً له: "أما عزبتي يا حضرة الناظر فليست كبيرة: وهي ثلاثمائة فدان فحسب، وليست بعيدة: سفر ساعة واحدة بالقطار أو السيارة من العاصمة، وليس سيئة الجو، فهي جنة تريد رضوانا أرجو أن تكون رضوانها لا مالكها"ص60. وقد كان الحديث مع فريد بك قد اتسم بالود وصفاء الأجواء، وكان على ثقة بأن ناظر زراعته سوف يساعده في أعمال كثيرة غير شؤون الأرض، والتي منها عرض ما يكتبه عليه من أدبيات فقد كان كاتباً في إحدى المجلات، وفي وقت من الأوقات عرض عليه قصة من قصصه التي من المفترض أن تنشر في هذه المجلة وقد قرأها الكاتب عليه، وكانت هناك بعض التعديلات قام بعملها، وهذه القصة في حد ذاتها والتي جاء بها الكاتب تعتبر مناصاً للترويح عن القارئ، والمناص دائماً ما يكون لغير الكاتب، وقد خدمت هذه القصة ما سبقها وما جاء بعدها، فما سبقها كان استدعاءً لناظر الزراعة لقراءة العمل بعد أن كسرت نظارته، وما بعدها يكمن في "أميرة" ابنة فريد بك فقد أصبح الكاتب / السارد قريباً منها وأوكل إليهما فريد بك قراءة القصة وتعديل ما يرونه وهنا نلمح إفادة مجيء الكاتب بالقصة الفرعية بداخل هذه الرواية، أولاً لتقريب ناظر الزراعة منه وإعلامه بأنه يكتب في الأدب، وثانياً ليكون هناك مجال للتواصل مع الجميلة " أميرة " ابنة فريد بك وقد كان. ولا بد أن نعي أن ما يسرده الكاتب سيرة ذاتية له مع تلك الفتاة التي التقاها كما ذكرت بعد عشرين عاماً من الفراق، ولكن في العمل الرِّوائي، وكما نرى نوعاً من الخيال لإكمال العمل الأدبي الذي يعتمد في الأساس على عنصر الخيال، فمن الممكن للكاتب أن يضفي على عمله نوعاً من الخيال، حتى ولو كان بإدخال قصص فرعية لها تأثيرها في العمل، كما فعل مع قصة فريد بك، وكما ذكر ممدوح فراج النابي فإن"المادة الحكائية المسرودة تشتمل على نوعين من الإبداع، الأولى: مادة ذاتية والثانية: مادة متخيلة، وبالمزج بين المادتين الذاتية والمتخيلة يتولد المضفر/ الهجين الذي يُطلق عليه بـ"السيرة الذاتية"[6]

الأنا السَّاردة والعشق

بكون أن العمل سيرة ذاتية للمؤلف، فإننا نلمح نوعاً من الصدق أيضاً في السَّرد، وهو ما أكد عليه الكاتب فيما بعد، لذلك نرى أول لقاء بين الكاتب/ ناظر الزراعة وأميرة ابنة فريد بك بعد اللقاء الأول، فقد أصبحت الفرصة مواتية للنظر إليها بعد أن علم عنها أنها قوية الشخصية، الأمر الذي أكده والدها فريد بك، وزينب التي كانت تساعدها في البيت وأيضاً حامد. يتناول عبدالعزيز/ الكاتب الحديث حول الأرض وما ينقصها وما ينقص الزراعة فيها، فأشار إلى أنه لا بد وأن يكون في هذه المساحة المتسعة من الأرض "مناحل للنحل" و"مزارع للدواجن"، وهو ما ارتضاه فريد بك وابنته "أميرة"، ويمرُّ هذا الموقف ليأتي موقف آخر اقترب فيه من أميرة التي أصبحت ملهمة له، بعد أن استدعاه فريد بك ليقرأ تلك القصة التي كتبها والتي يبرهن فيها على الحب الصادق بين حبيبين فقيرين، وقد قرأ عبدالعزيز ما طلب منه، وعدل تلك الصفحات لتكون في

ترتيبها الطبيعي وقتها تدخل أميرة فيقول: "وكان قلبي في نشوة بحيث يستثيره كل شيء، كان كعين ظمآى إلى البكاء تريد أي حادث يبكيها وكنت أقول في نفسي: إن في القلوب قلوباً يسعدها أن تحترق في مجمرة الحب وإن قلبي ليحدثني بأنه منها. وتجلت علينا الفتاة في ثوب صيفي أبيض ينسدل على نصاعته شعر حالك مغدودن جميل، وبين السَّواد والبياض وجه مستدير دقيق المحاسن تنادي فيه عينان بالسحر والفتنة، وهناك ابتسامة ترقص على الشفتين لم أر مثلهما من قبل، كانت مؤنسة غير موحشة كما سبق أن كان وحيَّت بتحية المساء"ص83. ويترك لهما الوالد حرية القراءة وتعديل الصفحات، ورأى عبدالعزيز أنها فرصة ليلتقط أنفاسه ويرى عن قرب ذلك الجمال الفتان، إنها أميرة التي شغفت قلبه حباً طوال مرحلة وجوده في هذا المكان، والتي لم يستطع الارتباط بها بعد ذلك نظراً لتلك الوصية التي حالت بين حبه وبين الزواج منها، فهي ابنة فريد بك صاحب الأرض الرجل الثري. وهنا يلعب القدر دوره في وجود هذا الشاب في هذا المكان إنه رجل فقير برجوازي، ولكنه أحب تلك الفتاة الغنية وهو ما أشار إليه حليم بركات حول تلك النزعة أو القدرية التي جاءت به إلى هذا المكان، بل وتعلقه بتلك الفتاة "ونحن هنا نقدم تفسيراً اجتماعياً فنعتبر القدرية أداة يستعملها الإنسان في تعامله مع الواقع والتحديات أو المشكلات التي تواجهه ويتبين لنا أنها أداة اجتماعية نفسية"[7]. وقد رضي الكاتب بتلك القدرية التي وقع فيها أو التي كانت من تلقاء نفسه بعدما حدث لوالده ما حدث.

كانت تلك البداية مع هذه الفتاة؛ البداية في الجلوس معاً حين أسند إليهما فريد بك أمر قراءة القصة وكتابتها بخط واضح "وماذا لو تعاونتما يا بني؟ أحدكما يملي ويكتب الآخر، وأنا بالقرب منكما في هذه الشرفة أنشق الهواء فقد تعبت. ولم يكمل كلامه إلا وهو ينقل خطواته الوئيدة نحو الشرفة، حيث تطرح هناك على كرسي ممدود من نسيج غليظ، أصبح المكان حولنا شبه خال فتتابعت دقات قلبي، ولم أستطع أن أرسل إليها بصري إلا اختلاساً"ص84. وكانت تلك الليلة بمثابة الشرارة التي أشعلت ذلك الحب في قلب الفتى يقول في ذلك: "وجعلت أستعرض إحساسي نحوها في بحر هذه الفترة فرأيته واضح البداية. لقد كان حذراً أقرب شيء إلى المقت، ولكنني الليلة..لا أدري ما هذا؟! فهل للحب "صورة سلبية" تظهر في القلوب معكوسة كالصورة التي يلتقطها المصور على الزجاج لشخص أو منظر؟! لا أدري ربما يكون"ص88. إنها أميرة التي جاءت إلى الزرع والفواكه لتقرأ القصة التي كتبها والدها ونشرت في تلك المجلة، ورآها العاشق الولهان فأبدى حبه وإعجابه بتلك القصة القصيرة التي كتبها الوالد، ويدور حوار بينه وبين أميرة، ويؤكد على تأثره بتلك القصة التي كانت بين هذين الحبيبين اللذين قد فرقت بينهما الشهامة لإسعاد قلوب الآخرين.

ويحدث الجدل بين أميرة وعبدالعزيز ذلك الفتى العاشق في عملية التأثير والتأثر بالفنون، ففي الوقت الذي نجد أميرة تؤكد أنها لا تتأثر كثيراً بذلك الفن وهي تقصد تلك القصة التي جمعتهما في غير موعد تلك القصة التي كتبها والدها ونرى كيف دافع الأديب عبدالعزيز عن الفنون، وكيف أن تلك الفنون جميعها لها

تأثيرها في الناس بشكل أو بآخر، تقول أميرة: "أنا شخصياً قليلة التأثير بهذا الضرب من الفنون، ولكن يخيل لي أنني تأثرت ليلة كتبناها. ثم استدارت كأنها تريد أن تنفي من ذهني ظناً، لكنها على كل حال مشكلة من نسج فنان"ص93. ويشتد الجدال بينها وبين العاشق الولهان فيقول: "وماذا تقولين في الموسيقي الذي تعزفين ألحانه على معزفك، هل وضع لحنه هذا اعتباطاً وألف بين نغماته جزافاً وكما يتفق. أم هو يترجم عن معنى يخامر نفسه ويريد أن ينقله إلى نفوس السامعين؟ كل صورة صادقة من صور الفن يا آنسة تنتج أثرها بنفسها وحدها ولا تحتاج إلى معونة خارجة عنها، وأستطيع أن أذهب إلى أبعد من هذا فأقول: إن ما يرسمه الأديب بقلمه والموسيقي بلحنه والرسام بريشته والنحات بمنحته، ليؤثر في نفسي بأشد ما تؤثر الحقيقة؛ لأن هؤلاء رسل العواطف بين المعاني والقلوب، يتلمسون بأدواتهم تلك مواطن الإحساس في النفس ثم يعرضون عليها الصور فتتمثلها في لمحة قصيرة"ص93. ولم تسكت أميرة بل أجابت في تحد عن تلك الأسئلة المضمرة في كلام عبدالعزيز، وكيف أنه يتهمها بأنها لا تراعي كثيراً الأدب وقد أقرت قبل ذلك بأنها لا تتأثر بما يكتبه والدها وهي تقصد القصة القصيرة التي سردها ونشرت في المجلة، فنرى الكاتب يقول عنها: "فبدا عليها أنها مقتنعة لكنها اعترضت: إنني على تأثري بموقف هذا الشاب أعتقد أن التضحية من نوع قليل الوقوع"93. ولكن العاشق يخالف المعشوقة في بعض ما سردته ويوافقها الفكرة بصفة عامة "اسمحي لي أن أخالفك في هذا الرأي، لأنَّ في بعض القلوب كنوزاً منها أصحابها ليسعدوا المجموع على حساب نفوسهم. لكنني أستطيع أن أعود فأوافق على فكرتك، وألتمس للمؤلف هدفاً آخر، هو أنَّ كثيراً من الفنانين يبشرون بالفضيلة، ويدعون إليها فيما يعرضونه من صور فيبلغ هذا من القلوب ما لا تبلغه المواعظ"ص93. ومن الملاحظ أيضاً أنَّ الجدل أوالحوار في الأمر كان من ورائه البحث عن الجمال والفن والكل ينتصر لرأيه حتى حين أراد ناظر المزرعة أن يبني حظائر للطيور"ترى أللجمال أم للإنتاج تريد أن تبني حظائر للطيور وخلايا للنحل يا حضرة الناظر؟ قلت وأنا أغالب اختلاط نبراتي: أنا عند وعدي يا آنسة. قالت وهي مبتسمة إذن أنت مصرٌّ على أنك ستبنيها للجمال"ص.91. وعشق الأدب يجعل من فريد بك فيلسوفاً حين يتحدث إلى عبدالعزيز ناظر الأرض وبحضور الجميلة أميرة بأنَّ هناك من القلوب تدفن وعقول قادرة على العطاء بل وفيها عبقريات مختلفة، ولكننا لا نحسن البحث عن تلك القلوب والتي لو أعطيت حقها لاستخرجنا منها كنوزاً قادرة على تغيير الواقع وقادرة على الإضافة من جديد لذلك المجتمع، وكأنَّه يعيش بيننا الآن، فنحن في حاج إلى اكتشاف تلك المواهب المدفونة والتي من شأنها أن ترتقي بالفنون بأشكالها المختلفة: "لا زلت أومن أن كثيراً من القلوب تدفن وفيها كنوز لو استخرجت لخلدت على الزمان، وليست هذه الفكرة جديدة ولا عالية بحيث أدركها وحدي، فإنها في نفس كل فنان، لكنهم يعتقدون ولا يعلمون. نريد جماعات تفتش عن المواهب في قلوب الناشئين وترتاد مواطن الحكمة كما يرتاد المعدنون مواطن الذهب"ص94. وفي هذا الوقت وبعد سماع تلك الكلمات من فريد

بك عاشق الأدب والفكر تتدخل ابنته أميرة لتبدي رأيها في ذلك الحوار وتقول: "يريد والدي أن يقول: إن محيط الأدب في أشد الحاجة إلى "حقول تجارب" كمحيط الزراعة سواء بسواء"ص95.

كان الفقر عقدة حياة البطل / ناظر الزراعة، وكان أكبر مجادلاً له في حياته بعد أن تعثر والده في سداد مديونية رهن الأرض، الأمر الذي اضطره إلى العمل ناظراً في مزرعة فريد بك، فيقف الفقر حاجزاً بين ما نريد في أغلب الأحيان، وهو الأمر الذي كان يؤرق مضجع عبدالعزيز، ذلك الشاب والأديب الذي عشق بنت الأثرياء أميرة الأمراء يقول: "ولكنني كنت مأخوذاً، وأستطيع أن أؤكد أن أحلامي الذهبية صورت لي أن كل أمنية من أمانيَّ قد يكفل الزمان تحقيقها، لكن حلماً واحداً في يقظة أو منام لم يصورها داخلة في نطاق دخول حب أو دخول زواج ولست أدري لماذا؟ ألخجلي وترددي يرجع هذا.أم هو راجع لعقدة نفسي التي ما أظنها تنحل، أعني الفقر"ص98. ونراه يتألم داخلياً حين علم بأن الأسرة ستفارق المكان إلى حيث الاصطياف السنوي في الإسكندرية، وما زاده ألماً أن هناك شخصاً في انتظارهم وهو ابن عم أميرة الأستاذ سامي "لا بأس.. إنك تريد أن تعرف.. ابن عمي الأستاذ سامي، محام في الإسكندرية، وقد حجز لنا المكان الذي سننزل فيه جميعاً لمدة شهر. فاضطرم الفضول في نفسي، وأدركت بالغريزة أن الشخص الذي تتحدث عنه ليس إلا شخصاً لا أرتاح إليه"ص99. وباستخدامه لأسلوب السرد الذاتي وحديث الروح التي تناجي المعشوق، وكأنه أمامها بعد أن فارقته لتذهب إلى الإسكندرية، كانت نفسه تحدثه بأن يقول لها: "أنا من الذين يحملون قلوبهم على أكفهم يا سيدتي، يبتغون لها مالكاً يرعى الله فيما ملك، فهل أنت من اللاتي يحسن رعاية القلوب؟ إن قلوبنا في صدورنا أحمال ثقيلة، نحس ثقلها ما دامت مقفرة من الحب، فإذا ما أحببنا أدركنا بأثرها دون جرمها، كما ندرك العطر أو كما ندرك النور" ص104. وكان الجدال مع النفس صريحاً، والخوف من المجهول مسيطراً عليه خاصة حين عرف بأن هناك ابن عمها سامي، ولكن ما كان يريحه أن زينب التي كانت تعمل لدى أميرة في بيتها كانت تشعر بآلامه، بل وصرحت له بأنها تحبه وتتمنى أن تكون معه ليل نهار، وفي الوقت نفسه تتمنى له السعادة بكون أنها تعلم بمدى شغفه بأميرة ابنة فريد بك "أنتما يا سيدي العزيزين ملكان كريمان حبيبان إلى قلبي أتمنى أن يجود عليَّ الزمن فأربط بين نفسيكما برباط الحب، وكلمة الله وأعيش إلى جواركما أسعد زوجة أو أكرم عذراء.. زينب! صدقت الآن كل ما تقولين، ولكن شيئاً واحداً أراه ولا أستطيع تصديقه، وهو أن الدنيا لا يزال فيها مثل وفائك، ومثل حبك"ص103. فالكاتب في هذا العمل لم ينس في نسقه التخييلي ما أبدعه من قبل الدكتور محمد حسين هيكل في روايته "زينب" ولم ينس كذلك دور حامد البطل في العمل فكانت الذاكرة حاضرة ليؤكد على أنه لم ينس تاريخ الرواية مع البدايات الأولى لها مع "زينب" فزينب كما هي عاملة ولم يختلف كثيراً دورها هناك ودورها هنا في هذا العمل، حيث كانت عاملة في بيت فريد بك وأرضه، ولكن المختلف هو دور حامد والذي أراد الكاتب من خلاله أن يكون بسيطاً غير متكبر على الفلاحين، وأراد كذلك أن يذكرنا بأن دوام الحال من المحال، فإذا كان حامد في رواية زينب البطل وابن

رجل ثري لديه إقطاعيات من الأراضي كثيرة إلا إنه هنا كان عاملاً في مزرعة فريد بك يقول "أما حامد فقد كانت الساعات تربي حبه في فؤادي، وهو وإن لم يكن من المثقفين الذين يسبحون معي في مجال واحد، فإنه ذو قلب كبير وأراني قد بدأت أثق فيه وأما زينب فلا أستطيع الآن أن أحكم عليها ويخيل إلي أنها قد رسمت حيالي خطة طويلة محبوكة، أو لعلي مخطئ أو مبالغ فربما كانت حركاتها لا تعني أكثر مما تحتمل"ص76 . وبعد أن سافرت المحبوبة وتركت المكان أصبح يعاني ألم البعاد وكلما نظر إلى نافذة غرفتها تألم أكثر وعاش على هذه الحالة عدداً من الشهور الصيفية، وكان في كل مرة يتذكرها يجادل نفسه ويحاورها في عنف لدرجة أنه قد كره الوحدة التي ليس فيها محبوب أو معشوق، وكره شيئاً يسمى الاستقرار دون المحبوب يقول محاوراً نفسه في ص107: "ظللتُ بعد سفرها أياماً لا أستطيع الإشراف على نافذتها المغلقة، كأنني مفلس يخشى أن يراجع دفاتر حسابه، ودرجت بي الحياة في طريق عادي خال من كل ما يهز النفوس بعنف، فأنكرت هذا الضرب من الحياة، وأيقنت أنه ليس جديراً بإنسان كامل، طعام وشراب وعمل وقراءة ونوم ويقظة إلى عدة شهور ليس فيها أمل ولا ألم، بعد أن غاب عني مصدر الخوف والرجاء. وألفيتني أعجب من نفسي ومن أولئك الذين يرجون الاستقرار ويهتفون به، فقد أصبحت لا أريده إذا كان معناه أنني لا أحب، وأصبحت أريد الاضطراب إن كان مرادفاً لقربها مني". وكانت الأنا الساردة في ألم وأرادت أن تلقى ذلك المحبوب بأية طريقة كانت فاختلقت الحجج وذهبت إلى القاهرة، وبالفعل لقي المحبوب ما يتمناه وعرض على والدها بعض أمور الزراعة في الأرض، ولكنه لم يكن يستريح للأمر وقبل أن يعود إلى العزبة تاقت نفسه إلى صديقه صالح، ليراه وليعرض عليه حاله الذي ألم به داء العشق، ويحدث حوار فيه فلسفة، وفيه جدال واسع بين ما أراده البطل وما هو واقع بالفعل، فيعرض البطل على صديقه حاله فيسأله بعض الأسئلة، نحو هل هي جميلة أم غير ذلك؟ في البدء ذكر له بأنها غير جميلة ليرى موقف صديقه ثم قال: "وإذا كانت رائعة الجمال يا صديقي؟ فأنكر موقفي وقطب ما بين حاجبيه. ثم ابتسم في ثقة وقال: إذا كان الأمر كذلك، فلي سؤال جديد: أهي تعرف شخص الفتى ووضعه في المجتمع؟ فأجبت بالعكس لا . إذن فقد أحبته لمعنى عشقته فيه: جمال وجهه, أو حسن تأتيه أو أنها تريد حبيباً لقلبها المقفر.."ص115. ويستمر الحديث بين العاشق الولهان وبين صديقه صالح وهو حال العاشقين في الاستشارات العشقية، يظل الجدال في طرح بعض الأسئلة بعد أن يتحول إلى شق آخر، وسؤال المحب عما إذا كانت المحبوبة تعرف وضعه الاجتماعي يقول الكاتب في ص115. "فقلت مبتسماً: وإذا كانت تعرف شخصيته ووضعه الاجتماعي؟ فتململ وقال: أتتحداني؟ أتختبرني؟..أما قاموس..هل تسمع؟ وإذا كانت تعرف شخصيته ووضعه في المجتمع، فإن لي سؤالاً آخر. هات. أيهما أعلى طبقة؟ الفتاة.. بدأت تجد يا صديقي. وما يدريك؟. عيناك.. فيهما معان جديدة لم أرها من قبل، وقد غاب لونك وأراك مشتاقاً إلى الجواب، قل ما يرضيك فأنا لا أعرف الحب". لقد تحير العاشق في أمر صديقه صالح، وكأنه

يحاول أن يقول له أنقذني مما أنا فيه فأنا مرهق وولهان ومشتاق، ولكن صديقه صالح وصف له دواءً مراً بكون أن عبدالعزيز لم يكن على علم بسواها، ولكنه أشار عليه بأنه لا بد وأن يغازل فتاة أخرى تكون في المستوى نفسه لأميرة، هنا ستظهر أميرة وتُخرج ما بداخلها تجاهه إذا كانت بالفعل تعشقه وتحبه، فتحير المحب الولهان وأصبح الأمر صعباً بالنسبة له، قال صديقه ص117: "عدني أنك ستفعل.. إنما أرشدك يا صاحبي لوجه الحب. ولأجل الفن لا أبتغي منك جزاء ولا شكوراً وضحكنا وقلت: أشكرك أيها القاموس". يخرج من عنده وكله أمل أن ينال رضا محبوبته وألا تكون قد مالت إلى ابن عمها سامي، وعد بأنه سيفعل كل ما من شأنه أن يتقرب منها وأن تشعر بحبه وعشقه. وهنا نرى الكاتب في هذه الرواية "**بعد الغروب**" يقترب من روايته "**غرام حائر**" وكأن الحزن سيظل مسيطراً عليه طوال مراحل حياته؛ فالروايتان تعتبران سيرة ذاتية للكاتب، وإن كان في "غرام حائر" أضفى عليها خيالاً واسعاً؛ لأن فيها رأيناه يعشق ابنة الأمير أو الملك فيرسله الملك إلى مكان بعيد، للدفاع عنه، ويحدث له ما لا يحمد عقباه، فيقرر العودة ليرى محبوبته إلا إنه يموت حين يراها وتلمح عيناه إياها. يظل البطل في رواية "**بعد الغروب**" في حيرة من أمر حبه لها وعشقه لها إلى أن عادت المحبوبة إلى العزبة، وفي لحظة وجودها بين الزروع رآها العاشق الولهان ودار حديث مطول بينهما أخذت منه عهداً أن ينفذ ما تطلبه منه فظن أنها تطب وده وحبه، ولكنها قالت له بعد أن وعدها بتنفيذ ما تطلب: "أحب أن تستأنف النظر في ضرورات حياتك مرة أخرى، وأرجو ألا تعتبرني متدخلة في خاصة نفسك ولا داعي للإطناب لأنه يزيد الأمر غموضاً وتعقيداً. وإذا كانت بعض ألحاني تزعجك فسأحاول ألا أعزفها ما استطعت"ص128. وأصيب بألم في صدره، حيث تعمدت في هذه الكلمات أن تجعله لا يهتم إلا بخاصة نفسه، وبمعنى آخر أن ينساها، وهو في الوقت نفسه أراد أن يحفظ ماء وجهه، فحين نظر إلى كفها وجد فيه خطاً مغايراً وغريباً فقال لها:"ستقع في حياتك أحداث عظام يا آنسة. قالت في وجل وإن أظهرت قلة اهتمام: عبارة مرنة تقبل كل تأويل. هذا ما يقوله دائماً أصحاب هذا الفن.. ولكن صدقيني أنه سيكون في حياتك حدث عظيم جداً. عظيم من نوعه.. ولا أعلم غير هذا"ص129. ونلاحظ أن صوت السارد هنا قويا، لأن الرؤية السردية تظهر من خلال الأصوات، سواء أكانت طبيعية أي أصوات طبيعية أو غير ذلك، والراوي في العمل هو المنوط بتلك الرؤية في التعبير عنها، وله أشكال عديدة منها ما نحن بصدده، فالراوي هنا يروي بتاء الفاعل " هذا الراوي علاوة على أنه الصوت الأساسي في سرد وقائع الرواية أو القصة، فإنه في الآن نفسه قد يغدو الشخصية البطلة في العمل، أما موقعه كراوٍ من حيث باقي الشخصيات فموقع محايد لا يسبق الشخصيات بعلمه، ولا بتفسيراته للأحداث"[8]. وبالفعل يترك لكل شخصية حرية التعبير ولا يتعداها وهو ما ظهر في الشخصيات المعادية له خاصة مع سامي فمن الطبيعي أن يكون ضده في الحديث لأنه غريمه، بالإضافة إلى شخصية آمال التي حلت ضيفة على العزبة مع أميرة. فحين عادت أميرة من سفرها بعد تلك الحادثة التي دارت بينهما فوجئ عبدالعزيز بأن هناك ضيفة حلت عليهم إنها آمال ابنة خالة أميرة، والتي أصبحت الهدف

الذي يسعى من خلاله للوصول إلى أميرة كما أوصاه من قبل قاموس العشق صديقه صالح بأن يتغزل في مثلها أمامها. وقد لعب صالح دوراً مهماً في حياة صديقه عبدالعزيز بعد أن أرسل إليه رسالة فيها عنوان البيت الذي سينزلونه في القاهرة ليراقب أميرة ويعرف أخبارها، وبالفعل قد حدث وجاءه بأخبار سارة وكيف أن هناك علامات للحزن قد خيمت عليها، سواء أكان بدخولها السينما أوبذهابها إلى العرَّاف، الأمر الذي أكد له أنها اهتمت بأمر الحادث الذي سوف يصيبها، بدأت أميرة في الضجر من آمال ابنة خالتها التي حاولت التقرب من الشاب ناظر الزراعة، الأمر الذي جعلها تغضب غضباً شديداً حين تحدث معها في الزهر وأنواعه، مما جعل أميرة تشن حرباً عليه، ولكنها حرب العاشقين، يقول الكاتب ص143: "فدنت مني قليلاً ولوحت بكفها وهي تقول في حدة: تدبر الأمر!! هيه أنت لا تجيد إلا التحدث في الأزهار. أتسمع؟! ثم اضطربت أنفاسها واختلجت شفتاها ومال لونها إلى الشحوب واستطردت تقول في أنفاس متقطعة وكلمات مبهورة، أنت... أنت.. واقتربت كأنها تريد أن تمسك بتلابيبي: أنت.. أنت شخص متعثر السلوك. إني أكرهك".

أما غريمه سامي فقد كان يمقته مثلما كان عبدالعزيز نفسه يمقته، ولكن في النهاية عبدالعزيز هو ناظر عزبة عمه، ومن المتوقع أن تتزوج أميرة من هذا الشخص ابن عمها، المتساوي معها على الأقل في الطبقة أو الأسرة، وحين كان يسير وسط الأرض رأى خلايا النحل قد بنيت ولم يرها من قبل وأراد أن يهزأ من الناظر ومن ملابسه فقال: "من الغريب أن كل خلية دهنت بلون، حتى ظهر مجموعها شيئاً يدعو إلى الضحك.. ولكن من الجائز أن تكونوا قد راعيتم السكان في اختيار الألوان"ص171. ولم يترك عبدالعزيز الأمر يمر هكذا وأصبح في تحدٍ مع سامي بعد أن ذكر سامي له بأنه لا يقصد أن يغضبه قال الأديب في ص172: "ليس في الأمر ما يغضب يا أستاذ سامي، ولا تنس مهمتك في الحياة كمحامٍ يعرف حدود الحريات ويحترمها، ويعلم أن المحاكم تستعين بالخبراء في مشكلات القضايا. قال بكبرياء: هل ترى في موقفي ما يدعو إلى الاعتذار، إنك تتناول الأمور في المزرعة كما يتناولها الأدباء لا الزراعيون" وبدا الأمر مؤسفاً وحزيناً عند عبدالعزيز وبدأ في تحد من جديد أراد أن يصد ذلك القادم من القاهرة والمدلل مثل شجرة اللبلاب، وكيف أنَّ هناك فارقاً بينه وبين نفسه التي شقت طريقها بالفأس وبين هذا الناعم الذي لا يعرف من أمور الدنيا سوى هندمة النفس خارجياً. يقول الكاتب ص172: "ثم أتناول الأستاذ ساميا. بما هو أهله، فأفهمه أنه في الوجود لا يزيد على أن يكون شجرة لبلاب، إن هوى ركنها الذي تعتمد عليه تطرحت على الأرض إلى غير قيام. أما أنا فقد شققت طريقي بالفأس في صخرة!!". ويعزف الكاتب في حديثه عن الألم الذي أصابه من ذلك الموقف المهين، وهو ما عبر عنه كتاب كثيرون عن الفوارق الطبقية ومدى الإذلال للإنسان المقهور. ولكن هنا نرى الكاتب يتذكر ما كان بينه وبين أستاذه الذي أحبه ويتذكر معه أول موضوع كتبه والذي يتعلق بالقاضي والمحامي "إن أستاذي الذي تأثرت به في حياتي الدراسية هو الأستاذ "حسين أحمد الخطيب" كان مدرساً لي في السنة الثالثة الثانوية، وكانت

تبدو عليه معالم الشدة والصرامة والقسوة أحياناً لكنه في حقيقة الأمر كان سخي العاطفة، حنون القلب كان يتعصب بسرعة من التلميذ الذي يخطئ، ثم يصفو بسرعة أيضاً كان يدرس لنا الإنشاء والأدب العربي وكان شاعراً. على يد هذا الرجل ومن عاطفته نحوي بدأت أحب الأدب وكتبت أول موضوع إنشاء ما زلت أذكره وأعتز به كان عنوانه"**حوار بين قاضٍ يعتز بمهنته ومحامٍ يعتز بحرية عمله**"[9]. وهنا أيضاً وفي هذا الموقف الذي حدث بين سامي والبطل عبدالعزيز يؤكد جزئيتين الأولى **الضرورة** التي ألجأت البطل إليها والاحتياج إلى العمل والثانية **القهر التسلطي**، لأن سامي هو ابن عم أميرة ابنة صاحب الأرض والتي أحبها عبدالعزيز ناظر الزراعة، وهذا الأمر هو ما أشار إليه مصطفى حجازي بقوله: "العالم المتخلف هو العالم الذي يتحول فيه الإنسانُ إلى شيء، إلى أداة أو وسيلة، إلى قيمة مبخسة، يتخذ هذا التبخيس، هذا الهدر بقيمة الإنسان وكرامته صوراً تتلخص في اثنتين أساسيتين عالم **الضرورة والقهر التسلطي**"[10]. وهذا الأمر أيضاً عزف عليه كثيراً الدكتور صالح سليمان عبدالعظيم في دراسته القيمة عن يوسف القعيد بعد أن عرض للقهر التسلطي عند مصطفى حجازي وذكر بأنه "يرتبط تعامل كبار الملاك والأغنياء وذوي النفوذ بالمعسكر المواجه من العمال الأجراء والمعدمين بميكانيزم القهر، بدءاً من أشكال القهر المعنوي الذي يشمل الإخافة والتهديد، وإشعار الفقراء بالضآلة وبث الرعب في أنفسهم"[11]

تألم عبدالعزيز كثيراً في رحلة حياته خاصة في الوصول إلى تلك المحبوبة والتي كانت في ألم هي الأخرى، فحاولت إرضاء لأبيها ألا تعصيه، رغم ما يتملك قلبها من عشق لهذا الشاب، ولكن الأمر أصبح على غير ما تشتهي، وصرَّحت بهذا الألم لمن أحبها وأحبته، بل وأكدت أنه سيظل أخاها وصديقها ولن تدعوه بغير ذلك "أخي. ولن أدعوك بغر ذلك!! تستطيع أن تحضر إلينا ما لقيتنا ادعيت أنك جئت مصادفة وعسى أن نتراءى بخير"ص177. بل وما زاد ألم العاشق الولهان ما صرحت به أيضاً ضمنياً بأنها لن تستطيع أن تتزوج رجلاً فقيراً ليس لأنها غنية، بل لأن ذلك رغبة أبيها وهي مغلوبة على أمرها "لن أستطيع.. غير ممكن أن أتزوج رجلا.. فأكملت وأنا ساهم مأخوذ: رجلاً فقيراً ثم رأيت خيالها من خلال دموعي وهي تخرج من الباب نحو الساحة وكنت لا أزال لاصقاً بالكرسي لا أستطيع أن أزايله وشفتاي تهمسان **أيتها الغادرة**"ص183. هذه العبارة ظلت عالقة في ذهن المحبوبة طوال حياتها القادمة والتي ابتعدت فيها عن محبوبها وتزوجت من ابن عمها خاصة في الأيام المتأخرة من حياتها وبعد أن علمت أن البطل قد سرد قصة حياته عملاً روائياً تقرأه الأجيال القادمة، بعد أن وصل كل منهما إلى سن متقدمة، وحين قرأت هذا العمل بعد الفراق الطويل أرادت أن تبوح له في جدل معذب بكلمات أرهقها الزمن، فبعد أن ترك العزبة وترك أرضه وجاء إلى القاهرة ليعيش فيها وأصبح محرراً في إحدى المجلات خصص له باباً للرد على مشاكل الناس وخاصة العاطفية منها ويتفاجأ بتلك الرسالة والتي لا يعلم من هي مرسلتها وهي تشتكي حال من ظلمها بقوله: **"إنها غادرة"** وهو لا يعلم أنها **"أميرة"** التي أرسلت له هذه الرسالة التي تقول فيها ص191."هو يتهمني بأنني غادرة، ولكن لا يزال سر نفسي في قلبي

وحدي. كان ترددي سبباً جر علينا البلاء معاً ولكنني أنا التي أحمل الوزر. تحابينا في شبابنا ثم افترقنا أجج الحقد في قلبه ولا يزال حتى اليوم حاقداً علي، وعلى أنني لو لقيته وكشفت له السر، لصفح وغفر، وإن لم يعد لأحدنا أمل في صاحبه، أراني مترددة خائفة، مثقلة الضمير، فهل تشير عليَّ بأن ألقاه". والكاتب المغمور المشهور لم يدرك أنه هو المقصود بهذه الرسالة في تلك الكلمات المبكية، فأكد عليها أنها لا بد وأن تقابله وتصارحه، فأصرّتَ على المجيء إليه في المجلة، وقد حدث بالفعل كي تبرر ما فعلته وتعرض عليه قصته التي اتهمها فيها **بأنها غادرة** ، ويصاب بالذهول حين رآها وحين علم أنها معشوقته القديمة والتي لم يتزوج من غيرها بعد هذا الحب العظيم وقد جاء في ص193 قولها له حين التقيا في المجلة "هذه هي قصتك الأخيرة التي سرني على البعد أنها نالت إعجاب القارئين، وإن لم تنل إعجابي. جعلتني بطلتها فخلدت بين صفحاتها أيامنا السعيدة، وأيامنا الباكية كذلك، لكنك لم تنصفني، فقد بالغت في اتهامي وخلعت عليَّ صفحات من الغدر ونكث العهود وأبكتني وأنا أقرأ حتى سالت دموعي على الصفحات، لقد نبشت جرحاً خلت أنه اندمل مع الأيام، فإذا بي أراني مدفوعة إلى أن ألقاك وأن أوضح لك كل شيء. وقد حاولت بعد فراقنا وزواجي من سامي أن أكتب إليك بحقيقة موقفي. لكني عدت فاستصوبت ألا أفعل علَّ هذا يساعدك على النسيان". وتظل أميرة في شرحها له وهو يستمع ويتأمل، وكيف أن تلك الحالة التي كانت بينهما من عشق وأمل في اللقاء قد انتهت رغم ما كان من آهات الحب وآيات العشق، فقد ظل هذا الحب العظيم في قلبيهما ولكنها أكدت له بأن زواجها من ابن عمها كان نتيجة رغبة حقيقية من والدها وأنها لم تستطع أن تخالف رأي أبيها بعد أن وعدته حين كان في اللحظات الأخيرة من عمره وقت أن أمسك بكفها وكف سامي، ووضعهما على بعض وأشارت إليه بنعم، رغم أنها قد حاولت في أكثر من مرة أن تشرح لوالدها أنها لا ترضى بالزواج من سامي وهي في حقيقة الأمر قد أحبت عبدالعزيز ناظر العزبة تقول في ذلك الموقف حين كانت اللحظات الأخيرة في حياة والدها: "وقفت أنا وسامي نرى آية الموت وهي تمحو أية الحياة فأمسك أبي بكفي وكف ابن أخيه جامعاً بينهما في يده، وأخذ ينقل نظراته بين وجهينا وشفتاه تتحركان ولكن بدون كلام فإنه ما كان يقوى. وفهمت أنا بالطبع أنه يوصينا بالزواج. فشبت في قلبي نار الحزن على رجل حي ورجل يموت. وأنا أقول في نفسي: آه لو تعلم يا أبي. فهززت رأسي موافقاً لأنني رأيت هذا بعيني وأنا واقف مع إحدى الممرضات من وراء السدفة""ص196. بل وأعلمته كذلك ما كان يدور بينها وبين أبيها الطاعن في السن، وكيف أنه كان يحب أولاد أخيه "أميرة.. بنيتي: ألا ترين معي أنني رجل مدبر وأنني كثير المال قليل الأبناء، أن أبناء أخي كثيرون ولا مال لهم، وأن "سامي" شاب لا أرى فيه ما يمنع أن يكون زوجاً لك. إن وافقتني يا ابنتي دعمنا أسرتنا وحلنا بينها وبين أن تنهار. ويخيل إليَّ أنه لا يسعده إلا أن تكوني زوجه وأنه يحرص عليك حرصه على أنفاسه"ص52. ويلوم محبوبته القديمة على أنه قد نسي نفسه ولم يتزوج بعد هذا العشق الذي ملك كل كيانه، بل إنه يندم ندماً شديداً

على أنه لم يتزوج فلم يصبح له ولد بعد يحمل اسمه واسم أسرته وكانت هي السبب في ذلك يقول: "وتسألني اليوم بعد أن غربت شمسي ولم تبق لي من الحياة إلا آثار نور يرسلها الشفق وحده على أفقي، تسألني هل نلت كل ما تتمناه؟ فأقول لك: إلا شيئاً واحداً أعده اليوم أعظم أماني جميعاً..الولد!! الولد"ص199. ويؤكد في نهاية المطاف أننا قد لا نفهم حقائق الأماني إلا في أخريات العمر، بعد أن لم يبق للإنسام إلا ذلك النور القادم من الشفق وهو ما يكون "**بعد الغروب**".

الرِّسالة وجدل الأنا والآخر في رواية "غرام حائر"

رواية "غرام حائر" للكاتب الراحل محمد عبدالحليم عبدالله، بُنيت على الرِّسالة، وقد حملت في جعبتها رسائل جمَّة كانت العمود الفقري للمعمار الرِّوائي فيها، أكثرها كان يبحث عن القيمة، مهما يكن هناك من خيانات، فإن الأمانة ما زالت موجودة، وتتلخص هذه الرواية في أن هناك مملكة كبيرة يحكمها ملك وله مساعدان هما رجاء وسداد، يتبادلان الرسائل معاً في أمور شتى منها ما يتعلق بالصداقة التي كانت بينهما ومنها ما يتعلق بابنة الملك "**إبريسم**"، ولكن فجأة نرى "سداد" يقترح على "رجاء" أن يقف معه ضد الملك ويحاول الانقلاب عليه، نظراً لثرائه الفاحش وضيق الحال عند المساعدين وخاصة رجاء، ولكن الأمر لم يُرض رجاء، فكتب له رسالة فحواها أنَّ هناك فارقاً بين الأمانة والخيانة، تلك الرِّسالة التي وصلت إلى الملك بطريقة ما، فيعزل الملك مساعده سداد ويضعه في السجن، ويُنصِّب رجاء مكانه، بينما رجاء كان قد وقع في حب ابنة الملك وأصبحت هناك علاقة عشق بينهما، لكن القدر كان لهما بالمرصاد، فيتألمان للفراق والبعاد كثيراً حتى في نهاية المضاف بعد أن أوشك رجاء على الموت فينظر حوله وتدور عيناه وآخر ما وقعت عليه عيناه كانت على "إبريسم" محبوبته ثم يموت. بلا شك قصة عبقرية من الكاتب خاصة أنَّها من القصص الأولى له والتي برهنت على قدرة الكاتب على الحكي والسرد، والقصة بأكملها تحمل جزءاً من سيرة الكاتب الحياتية، فهو بالفعل قد أحب ابنة صاحب إقطاعية كبيرة، ولكنه لم يفلح في الزواج بها، وهو ما ظهر بجلاء في روايته "**بعد الغروب**" كما رأينا والتي تعتبر سيرة ذاتية له. يقول في توطئة قصة "**غرام حائر**" بعد أن عجز عن التعبير بالشعر فلجأ إلى القصة والسَّرد: "فيئست! غير أن المشاعر الفنية في نفس كل شاب تتلمس بطبعها طريقها للخروج، فإذا ضاق عنها باب بحثت عن باب جديد. لذلك وجدتني ذا صيف أمسك القلم وأبدأ في كتابة قصة طويلة، وكنت وقتئذ في الثامنة عشرة من عمري على التحديد"[12]. التقى رجاء بتلك الفتاة بعد أن أصبح مساعداً لوالدها في إدارة شؤون المملكة، ووقع في غرامها، وكانت هناك أسبابٌ لذلك، دفعت رجاء وإبريسم للتعلق ببعضهما البعض: "ويتضح لنا أن هذا الحب قائم على دعامتين أولاهما إعجاب "إبريسم" بأمانة "رجاء" وإخلاصه، ثانيهما: التعاطف المتبادل بينهما"[13]. كانت هذه خلاصة ما في القصة، ولكن هناك رسائل متبادلة عديدة بين رجاء وسداد قبل أن يكتشف الملك تلك الرسالة التي عزلت سداد من منصبه وأودعته السجن وبدأت حياة رجاء في شقاء وسعادة، فالشقاء في أن أبعده الملك عن المملكة وأرسله إلى خارج

البلاد كي يوطد حكم الملك في أماكن أخرى، الأمر الذي جعله يبتعد عن محبوبته وقد أضناه التعب؛ لبعده عنها فقرر في يوم أن يمتطي صهوة فرسه ليعود إلى المحبوبة ويراها، ولكن القدر كان له بالمرصاد آنذاك ولم يستطع ملاقاة المحبوبة، وحدث ما حدث من آلام أودت به إلى الهلاك والموت في نهاية المطاف.

الرسالة والآخر

في أول رسالة من رجاء إلى سداد يقول في بدايتها: "كتابي إليك وأنا في طريقي إلى الوطن، وغداً استقر فيه وتصبح بيني وبينك بلاد، ودوني ودونك بحار عليها قلاع شيدتها الليالي فأحكمتها، ودججتها بالنبال وكللتها، وعيون بثها الدهر فقعدت لنا كل مرصد، فما شربنا الكأس صافية قدر ما شربناها ممزوجة، ولا رأينا السعادة حاضرة قدر ما رأيناها مفقودة[..] إني لأذكرك يا سداد وأذكر أياماً قضيناها في ربوع رأيناها فأحببناها، لأنَّا وجدنا فيها قلوباً عطوفة تخفق في صدور غير صدور الأقرباء، ونفوساً شريفة طهرتها قطرات الشفقة التي يسحها خالص الإيمان"[14]. من هذه الرسالة نكتشف أبعاد النفس عند رجاء، فهو إنسان ذو شخصية مؤثرة تبحث عن القيمة، فتعبيراته صادقة، لأنه يسرد سيرته وحياته التي كان يحياها آنذاك، يبحث رجاء من خلال هذا النص عن الخير والحق والجمال؛ فالحق في أنه يحيا في الوطن، وعليه أن يحافظ على هذا الوطن، حتى ولو كان تحت إمرة ذلك الملك والخير في اتساع تلك المملكة، التي بلا شك ستعود بالنفع على أهلها بينما الجمال في حفظ العهد والود لتلك الأيام التي قضاها مع صديقه سداد. وينهي رسالته بأهمية التواصل مع سداد لمعرفة كل شيء عن المحبوبة وعن الديار فيقول: "اكتب إليَّ بكل ما يحيط بك وما يمازج نفسك لا أعرف ما حال الديار وما بها، وهل أصابتها سهام الزمان؟ هل دارت عليهم الدوائر فلم ينتفعوا بالعيش من بعدي كما هي حالي؟ وإن فؤادي ليراودني أن يترك جنبات صدري فقد أعلنت العصيان"[15]

ويرد عليه سداد برسالة أخرى يذكر فيها مكانته عند الملك، وكيف أن والده كان معلماً للأمير ومربيه وبالتالي فإن الملك يقدره ويحفظ له تلك المكانة وذلك الفضل من والده يقول في ص22: "هذا ما صبتْ إليه نفسي يا رجاء في هذه السَّاعة وما نيله على الله بعزيز، لأن أبي كان من معلمي الأمير ومربيه أيام صباه، وبقي معه حتى بلغ أشده، وكان الأمير يحبه ويجله وينزله المنزلة التي لا يعلوها سوى الآباء" وكان سداد يؤمل النفس أن يكون من أهل البلاط والإمارة وهو ما كان ينازع نفسه كثيراً الأمر الذي جعله يخط لرجاء هذه الكلمات بعد أن وعد الأمير أن يشهد حفل تتويجه على المملكة يقول في رسالته ص22"ولقد وعده بأن أكون في بلاطه يوم استوائه على العرش، وها هي ذي دوحة آماله قد أورقت فلعلها تفيء على نبتة أحلامي حتى لا تغلبها عصفة الريح أو تحرقها لفحة الشقاء. لئن تحقق هذا يا صفيي لأمسحن بيدي دموعك التي نضجت منها خدودك، ولاستطعت أنت الآخر أن تكون في جماعة البلاط واستطعت أن أفي بعهد تحالفنا فيه على الزمان، وأن قلوباً ربطها رباط المحبة لن تستطيع تفريقها الأيام". وأول ذكر للمعشوقة يأتي في الرسالة الثانية

"**إبريسم**" تلك الفتاة التي أحبها رجاء وعشقها، ولكن البعاد فرَّق بينهما، فيذكر له سداد بعضاً عنها وعن صفاتها وتواضعها يقول في ص23: "أما إبريسم" فلا أحدثك عنها أكثر من أن أقول: إنها فتاة جميلة عالية النفس لم يغرها العرش ولا الملك وهما فتنة القلوب ومسرح الأهواء، ليست كثيرة التعلق بأساليب اللهو ولا التفنن في المجون، بل قلما أراها واقفة في شرفتها أو سائرة في حديقتها أو مداعبة جوادها، أو جانية ورودها، فهذه الحياة بزينتها وقصورها، وهذه القصور بأبراجها وعراصها وتلك العراص بحجراتها وجناتها، وتلك الجنان بأفيائها وأشجارها، والأشجار بأزهارها وأثمارها، كل هذا لا قيمة له في نظرها ولا منزل له في فؤادها، فأعجب لفتاة تملس من النعيم إملاساً وتوصد في وجهه باب قلبها، فلا يملك عليها سمعاً ولا بصراً" نلاحظ أن الأميرة إبريسم تشارك رجاء في فكره، فكل تلك الضياع وهذا الثراء والجنان لا قيمة له عندها، أي أنها تبحث عن القيمة تلك القيمة، التي يبحث عنها رجاء، فقد كان الكاتب وقت كتابة هذا العمل ما زال شاباً في الجامعة وقد تعرض لنكسات كثيرة ألزمته العمل عند الآخرين، فجاء العمل عند صاحب هذه المملكة، التي رأى فيها هذه الأميرة، وكأن القلوب كانت في تفاهم وارتباط، ولكن الألم شق طريقه إليهما. وبعد أن ساءت حياة رجاء بموت الوالد وألم فراق الأخ علم سداد بذلك فأرسل له رسالة قصيرة، ولكنها حملت الكثير من معاني الصداقة الحقة يقول في هذه الرسالة ص27: "مات أبوك وهو أبي، وولى أخوك وهو أخي، فإن عزيتني فكما تعزي نفسك. وإن عزيتك فكما أعزي نفسي. الصبر مر والجزع مر، إلا أن كأس الصبر لا تضر وكأس الجزع تضر. فلنؤثر الصبر على الجزع، ولنختر كأساً فيها الشفاء تاركين أخرى بها الداء العياء". وتمر الأيام وتبدأ الفكرة الرئيسة للعمل تظهر شيئاً فشيئاً حين التقى سداد بذلك الفتى من أصحاب القصور العاتية، والذي أراد أن يزيل ملك الملك عن طريق سداد، وأن يعرف أخبار القصر أولاً بأول، وهو ما أخبر به سداد صديقه رجاء يقول سداد في رسالته إلى رجاء ص35: " لو وافيتنا بأخبار القصر خبراً خبراً، لاستطعنا حياكة دسيسة للملك، ولاستطعنا قلب ملكه، ولكنت أنت في قصرنا السيد المسود والآمر الناهي، والمعز المذل. ولكن لن تبرح قصري هذا إلا إذا عاهدتني عهداً بأن تكتم أمر هذا الحديث". وهذا الأمر لم يقبله رجاء وأرسل على الفور رسالة إلى صديقه سداد، يبرهن فيها على القيم والأخلاق، وكيف أنَّ الخيانة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون طريقاً للوصول إلى أغراض لا يقبلها العقل الإنساني فينصحه ويوبخه يقول في ص36: "ماذا دهاك يا سداد وماذا أصابك؟ أكنت تظن أني أرضى لك الخيانة، أو أغريك بها؟ وهي التي إن رضيتها لك اليوم، لا يبعد أن أرضاها لنفسي في الغد. ومتى رضي الشريف لنفسه أن يكون خواناً كفوراً؟ ماذا دهاك يا سداد وماذا أصابك؟ أمن غلطة واحدة تقلب لوليك ظهر المجن، وتعلن عليه حربك وجهادك، غير ذاكر عهداً ولا حافظ ميثاقاً؟ أمن غلطة واحدة تفعل كل هذا إن صح أن تعد حيطة الملك لنفسه غلطاً؟. لا يا صديقي، ليس هذا من الشرف في شيء، إن جنين الخيانة الذي يتكون في نفسك سيكون من قاتليك إن آن له أن يتم تكوينه، فاقض عليه أنت قبل أن يقضي عليك، ولا تشحذ السكين لنفسك، فإن هذا كثير على دابة بلهاء".

تتجلى القيمة الإنسانية في أبهى حلتها في جدل راقٍ من خلال هذه الرسالة التي أرسلها رجاء إلى صديقه سداد، وكيف أنَّ الرِّسالة نفسها وما بها من قيم كانت طريقاً من أجل إيقاف الخيانة، التي أرادها سداد مع الملك. فحينما يذكر لصديقه قوله "ما الذي دهاك يا سداد" فهو يؤكد أن صديقه الذي يعرفه بعيد كل البعد عن الخيانة، فماذا حدث له حتى يقترف تلك المصيبة التي ستنال منه، فرجاء يذكِّره بأن صفاته التي عرفها عنه لا يمكن أن تؤدي به إلى ارتكاب تلك الحماقة بأن ينال من الملك الذي قربه منه وأصبح واحداً من العالمين بأحواله، فكيف له بأن يخون من أمَّنه على نفسه وملكه، فليس هذا من الشرف في شيء. ويبدأ رجاء في الرسالة نفسها ص37 بتذكيره بعاقبة الخيانة عند الله أولاً وما يعقبها من تذكارها في كل حياته، يقول: "أما تخشى أن يأخذك الله بذنبك يوم يأخذ الناس بذنوبهم، أو أن يلازمك طيف خيانتك في مجيئك وذهابك، وقومتك وقعدتك، وفي سريرك بين أحضان زوجك، وعلى مائدتك بين رياحين أولادك، فيفسد عليك أمرك فلا تهنأ بجيئة ولا روحة، ولا تنعم بقعدة ولا قومة، ولا يلذ لك طعام ولا شراب. وإذا زارك النوم حرَّكتك في سريرك يد الخيانة، فتقوم من النوم مرتاعاً مذعوراً؟" بل ونراه يذكِّره بما قاله ذلك الشاب الذي سعى لخداعه بقوله بعد القول السابق "واعلم أني لست بالدنيء الذي يغتال النزلاء، ولا الخائن الذي يشتري بشرفه عرضاً من العروض الزائلة، ولا من الظلال المتنقلة"..كانت هذه الرسالة بمثابة إيقاظ لـ"سداد" مما هو مُقدِم عليه، وهي نصيحة غالية من صديق صدوق يرعى ويعرف حق صديقه جيداً، فكان له من الناصحين والخائفين عليه. والقدر لم يمهل سداد كي ينفذ مخططه الشيطاني، بل إنَّ اللص كان في تلك الليلة الليلاء له بالمرصاد، فقد سرق قصره وأصبح قاعاً صفصفاً، حتى الحافظة التي لم يهتم كثيراً بها سداد، كانت قد سرقها اللص، وهو لا يعلم أن ما بها أغلى شيء، إنها الصداقة الحقة وقيمة تلك الصداقة، وفيها في الوقت نفسه دماره وخراب بيته، فقد كان فيها ردُّ رجاء على فكرته اللعينة بألَّا ينقلب على الملك، يقول الكاتب "فيك أيتها الحافظة قطرات الصداقة، نفثتها الأقلام على الأطراس. وفيك أيتها الحافظة ما يهدئ النفس إن هاجها وسواس. فيكِ أيتها الحافظة الحقائق المكتوبة" وما هي تلك الحقائق التي حوتها الحافظة؟ إنها حقيقة مؤلمة حتماً ستصل إلى صاحبها وهي حقيقة تخطيط سداد. ففيها الخطاب القادم من رجاء ينصحه فيها بما قاله. وتقع الحافظة في نهاية المطاف في يد أحد ضباط الملك بعد أن اشتراها من هذا الغلام المسكين وبها رسائل رجاء إلى سداد، وبعد تفحص الرسائل وجد رسالة تدعو سداد إلى عدم خيانة الملك، وهنا كانت الفاجعة والدهشة من الضابط "فأدرك أن هذه حافظة سداد، وأنها إنما سرقت فيما سرق ليلة سطا اللصوص على القصر، وأنَّ هذا ردٌ على كتاب كتبه يستشير صديقه في غدر الملك، فقال لنفسه التي تحدثه أن يكتم الأمر، ويواري الرسائل "الملك يا نفسي فوق كل شيء، ولن تسكن القلوب في الصدور إلا بسكون العروش في القصور، ولن يخلص الصديق لصديقه إلا بعد إخلاصه لمليكه"[16]. وعلم الملك بتلك الرسالة التي كانت

مفتاحاً لمعرفة الحقيقة فأمر على الفور بإلقاء القبض على سداد وأودعوه السجن "أيها الجنود الشداد الغلاظ كبّلوه بأغلال شداد غلاظ، وأودعوه السجن، وقولوا له: الآن حق عليك العذاب، فابك بكاء النساء، لأنك لم تعرف طريق الرجال"[17]. إذا كانت الرسالة قد أظهرت الحقيقة، فهي في الوقت نفسه كانت متنفساً بين الصديق وصديقه، ولم يكن يتوقع الاثنان أن ذلك الأمر سيحدث، ولكن شاء القدر أن يفتضح أمر سداد، فهو لم يستمع إلى نصائح صديقه، ومن هنا فقد قرَّب الملك رجاء منه وأصبحت له حظوة كبيرة لدى الملك، بعد أن تيقن أن رجاء من المحبين له والذين يعرفون حق الملك، وبات الأمر فترة طويلة من الزمان على هذه الحالة، وفي السجن رأى سداد الذل والهوان بعد أن كان منعماً في خيرات الملك، ولكن رجاء ظل على عهده وإخلاصه مع صديقه سداد وهو ما لم يرفضه الملك.

تألم رجاء كثيراً بسبب عشقه لإبريسم، وأرسل لصديقه سداد في سجنه يخبره بما يعانيه من آلام العشق فهو لم يستطع أن يؤكد لها عشقه فماذا يفعل؟! قال لصديقه في رسالة له ص56"هنا أيقنت أن بها داءً جديداً، وأنه داء القلب لا داء الجسد. هو الحب مسها فهامت في ظلمات الليل تفتش عن ريح الحبيب وقلبها هائم في ظلمة الصدر يفتش عن ريح الطبيب، فيا ويح لها ولقلبها مما أصابها، ويا ويح من الذي تشكو إليه غرامها" وبعد أن اشتد ألم العشق عند رجاء أرسل إلى صديقه رسالة أخرى يشكو فيها همه وما يؤلمه وكيف أنه يريد أن يكون مكانه في السجن، لأنه هو الآخر أصبح سجيناً لذلك العشق يقول في ص60: "تعال مكاني يا صديقي إن كنت تشكو من سجنك، تعال لتدرك أن قضاء الله في أمرك أخف من قضائه في أمري، فيا صاحب السجن ما أجمل اليوم سجنك! إن قلبي إليه مشوق وهواي به معلق، بادلني إن كنت ضجراً سجناً بسجن! ومكاناً بمكان". لم ينس رجاء أبداً "إبريسم" وظل يهيم فيها حباً وعشقاً وظل ينادي القلب الذي لم يجد له طبيباً ذاكراً بأن العلاج في المحبوب يقول ص64: "أتدري يا طبيب ما الذي أعجزك وحيرك؟ وعمى عليك العلة فما عرفت لها دواء، وأفسد عليك الدواء وهو مبريء شاف. هو الحب يا طبيب علة العلل ومرجع الزلل. هو الحب يأتي على البلسم البريء فيمسحه، وعلى الداء الدفين فيبعثه، وعلى القلب السليم فيجرحه، وعلى الجناح المريش فيهيفه، ويترك للريح". مرض رجاء مرضاً عضالاً ألزمه ذلك المرض أن يبتعد عن القصر ويلتزم الفراش، فأرسلت له المحبوبة رسالة فيها الدواء وهي الرسالة التي عنونت بـ "**من إبريسم إلى رجاء**" ص68 تقول فيها: "**حادي الشفاء يسوقه إليك، فانتظر وصول الركب بعد قليل، وعد إلى قصرنا واعمره كما كنت بالأمس تعمره، فما أنت إلا قمره المضيء وريحانته النافحة. هذا ما أبشرك به وهو ما دفعني إلى أن أسطر رسالتي**". لم يتمالك نفسه من هذه الرسالة، وكأن العلاج جاءه من السماء في هذه الكلمات، فسطر لها رسالة أكبر وأعظم وفي نهاية رسالته إلى محبوبته رداً على هذا الفيض من أمارات العشق والهوى ص80 قال لها: "والسلام عليك من حبيبك الذي لا يعرف إلا حبك وصفيك الذي لا يخلف أبداً وعدك، ونجيبك الذي لا يخون ما عاش عهدك". أعطته إبريسم كفين متصافحين رمزاً للعهد والوفاء قائلة له: "هي

هدية الحب صورت فيها موقف العهد وساعة الميثاق، فاحفظها معك يا رجاء، واحرص عليها حرصك على أغلى الأشياء عندك، احفظها واحرص عليها، فإن للدهر سطوة على غرة وكرة بعدها كرة". ظل رجاء محتفظاً بذلك العهد طوال حياته، وكلما نظر إليه تذكر محبوبته حتى وإن صادف في حياته كاميليا تلك الفتاة التي التقاها في ظروف معينة، بعد أن ترك القصر والبلاد رغبة من الملك في إخماد ثورة خرجت ضده في أقصى البلاد. وحين فارق رجاء محبوبته وعلم أنه لن يلتقي ثانية كتب لها وهو على ظهر السفينة في رسالته ص104 قائلاً: "عزيز عليَّ الفراق، ولكن كتب الله لنفترقن فافترقنا، وما افترقنا على قلى ويشهد الله، ولكن على مثل ما تفارق الشفاه به الكئوس أو مثل ما تفارق الشفاه به الشفاه، تلك الغلة التي لا تطفئها ينابيع الجنان وإنما يطفئها سلسبيل اللقاء، غداة يلتقي الوجهان فيبتسم الثغران ويتصافح الكفان" وترد عليه إبريسم برسالة مؤلمة في العشق والغرام ص108 قائلة في توديعه: "ماذا أصنع بالعيش بعدك يا رجاء، وأي أمنية بقيت لي في الحياة؟ بل أي ديار أجد فيها راحة الصدر؟ وهو ذلك الجرح المضطرم الذي اجتواه الفؤاد فرفرف فيه رفرفة الطائر المسجون. ماذا أصنع بالعيش بعدك يا رجاء.. قل لي بربك؟.. لقد تركتني جسداً لا قلب فيه، وكيف حياة الأجساد بعد القلوب؟.

يرحل رجاء إلى حيث الثورة وتشاء الأقدار أن يعود بعد فترة طويلة وتعلم المحبوبة بمقدمه، وتستعد له استعداد العشاق، ولكن القدر كان لهما بالمرصاد تنفجر السفينة في عرض البحر قرب المملكة وينتشل الحراس ما بقي ممن كان بين الحياة الموت، وبقيت نظرة أخيرة من رجاء وهو في غيبوبة الموت وقعت على محبوبته ثم فارق بعدها الحياة أمام عينيها. نهاية مؤلمة لقصة عجيبة خلقها الكاتب من واقع الحياة ليعيش عليها زمناً بعد ذلك. يقول الكاتب في نهاية الأمر ص145: "هي النظرة الأخيرة يسبل بعدها المرء الجفن، فتسبل الأجفان آمال الحبيب ثم تقضي كمن قضى، ولا تبعث إلا يوم يبعث".

في النهاية نجد أنَّ الرسالة عند محمد عبدالحليم عبدالله في هذه الرواية قد ساعدت كثيراً في تبيان قيمتين عظيمتين: قيمة الصداقة الحقة والتعامل مع الآخر، وقيمة العشق الصادق تجاه المعشوق، وكيف أن قيمة الرسالة كانت في الصدق عند جميع الأطراف حتى رسالة سداد إلى صديقه رجاء التي غيرت مجرى حياته وأودعته السجن كان فيها صدق في التعبير والحديث، فلم يكذب فيها وكان صريحاً في نيته التي أرادها للنيل من الملك. وأيضاً كانت رسالة القيمة، فكل تلك الرسائل اتسمت بالقيمة التي حملتها أي أنها رسائل ذات قيمة عالية بينت أشياء مهمة في حياة الشخصيات، وفي الوقت نفسه كان هناك جدالٌ حقيقي بين الصدق والكذب وبين الخيانة والوفاء.

وختاماً لهذا البحث نذكر عدداً من النتائج:

أولاً: رواية "**بعد الغروب**" كانت نتيجة حتمية للمعاناة التي عاناه الكثيرون من الطبقة الكادحة والبرجوازية وكانت أمراً طبيعياً لإظهار الفوارق الطبقية في المجتمع المصري والجدال الواسع بين الفقر وبين ما يريد الإنسان الوصول إليه، فالفقر كان أكبر مجادلاً للبطل في حياته كلما تقدم خطوة أعاده إلى الوراء خطوات، وهو ما يؤكد ألم الفوارق الطبقية، خاصة مجتمع ما قبل منتصف القرن الماضي، والذي يؤكد وجود تلك الاقطاعيات الكبيرة عند عدد قليل من البشر في الوقت الذي كان فيه المصريون يتألمون في حياتهم، ولم يكن التعبير عنها إلا بالكتابة في الأدب والمقالات، كما أنَّ تلك الرواية أرَّخت لتلك المحسوبيات والتي ما زالت موجودة حتى الآن، وهو ما يصيب المصري الفقير بكثير من الآلام.

ثانياً: الرِّواية الواقعية خاصة الواقعية الاجتماعية تكون أقرب إلى التصديق من غيرها من الروايات، لأن الواقع الاجتماعي المعيش، يشعر به الكثيرون وخاصة من أصحاب الطبقات الفقيرة في المجتمع وهو الأمر الذي ألح عليه الكاتب في "بعد الغروب" فهو ابن رجل لديه عشرون فداناً من الأراضي وأصيب في تجارته وأصبح لديه فقط خمسة أفدنة، والتي لم تف بمصاريف أسرة كانت تعيش آنذاك، أي خيم عليها الألم، وهو ما جعل النائب يوصي الموظف الكبير في وزارة الزراعة بأن يبحث للبطل عن عمل، لأن والده أناخ به الزمن وأصبح فقيراً، ونقيس على ذلك شباب هذه الأوقات ونقارن بين ما كان في الماضي وبين الآن فنرى أنه لم يتغير شيء، فالغني يزداد غنى والفقير يزداد فقراً.

ثالثاً: الروايتان تعتمدان على الصداقة بين البطل وصديقه، وكأنهما خيطٌ واحدٌ، فإذا كان البطل قد اتخذ من صالح صديقاً له في "**بعد الغروب**" ولكنه كان بعيداً عن طريقه، وكان يشرب الخمر ويجامع النساء، ولكنه كان في الوقت نفسه حكيماً استطاع أن يفيد صديقه في أمور العشق وغيرها. وفي رواية "**غرام حائر**" كان الصديق محباً له، ولكنه أراد أن يخون الملك وهو ما رفضه البطل بمعنى أن الصديقين في العملين كان لهما دورٌ عظيم عزف الكاتب على الصداقة الحقة في كلتا الروايتين والنصيحة في كلتا الروايتين للصديقين، سواء أكان في "غرام حائر" أم في "بعد الغروب".

رابعاً: البطل منهزم في الرِّوايتين، وهو تعبير عن انهزام الإنسان وانكساره في ذلك الوقت، نظراً للفوارق الطبقية الواسعة، فهو في "بعد الغروب" يعمل عند ذلك الرجل فريد بك صاحب الثلاثمائة فدان أرض، وفي رواية "غرام حائر" يعمل لدى الملك الذي يملك البلاد بأكملها وكان قائداً من رجاله، ولكنه كان يرفض الخيانة وكأنه مكتوب على المساكين أن يكونوا مثالاً يحتذى به في عالم الشرف والكرامة، وحتى إذا ما أقدم سداد على فعلته الشنعاء وقف له البطل رجاء بالمرصاد، وكأنه يريد أن يقول إننا نعمل عند الكبار، ولكن الشرف هو ما نملكه فقط على الرغم من أن بعض الكبار لا يهتمون بهم وليس معنى ذلك أن نبرر ما فعله سداد من خيانة الملك.

خامساً: جدل الأنا والآخر ظل مهيمناً على الروايتين من البدء حتى المنتهى، سواء أكان في الخيانة والوفاء أم في العشق والكره، وكأن هناك صراعاً محتوماً فيهما ففي "بعد الغروب" ظل الجدل دائراً بين البطل ومعظم شخصيات القصة، سواء أكان مع المحبوبة نفسها في أمور كثيرة أم مع حامد وزينب. وأيضاً الأمر نراه في "**الرسالة**" عند سداد في "غرام حائر" فقد كانت الرسالة طريقاً إلى التنفيس عن النفس وما آلمها.

سادساً: نهاية كلتا الروايتين واحدة تقريباً وهي الفراق أو الموت، سواء أكان في "بعد الغروب" وما حدث للبطل فيها من إخفاق في الوصول إلى المحبوبة، ثم ترك عمله في المزرعة، والبحث عن مكان آخر، ثم ترك المكان الآخر والعودة إلى القاهرة للكتابة. وهو الأمر نفسه في رواية "غرام حائر" والتي تنتهي بموته بعد أن فشل في الوصل إلى محبوبته التي ابتعد عنها. فالموت عند الكاتب يعني الفراق والفراق أيضاً عنده يعني الموت. وما حدث له في "بعد الغروب" بالضبط حدث له في "غرام حائر" .

الهوامش:

[1] أحمد درويش، مقدمة كتاب "فن الترجمة والسيرة الذاتية" لأندريه موروا، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى 1999ص12

[2] محمد عبدالحليم عبدالله، بعد الغروب، مكتبة مصر، القاهرة .ص8. الرواية الحاصة على الجائزة الأولى لوزارة المعارف المصرية 1949

[3] بول ريكور، الزمان والسرد، التصوير في السرد القصصي، ترجمة فلاح رحيم ود. جورج زيناتي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان 2006ص258

[4] لوسيان جولدمان، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، ترجمة محمد سبيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الأولى، لبنان 1984ص107

[5] فيصل دراج، الواقع والمثال، مساهمة في علاقة الأدب بالسياسة، دار الفكر العربي الجديد، الطبعة الأولى، لبنان 1989ص130

[6] د. ممدوح فراج النابي، رواية السيرة الذاتية، دراسة في التأصيل والتشكيل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 2011ص47

[7] حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1984ص236

[8] قاسم بن موسى بلعديس، بنية الخطاب الروائي عند محمد عبدالحليم عبدالله ، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري بقسنطينة، الجزائر 2006 ص 140

[9] محمد عبدالحليم عبدالله، الوجه الآخر، مقالات في الأدب والفن والحياة ، مكتبة مصر، الفجالة، القاهرة ص191

[10] مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، معهد الانماء العربي، لبنان، الطبعة الرابعة، 1986ص131

[11] د. صالح سليمان عبدالعظيم، سيسولوجيا الرواية السياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1998ص119

[12] محمد عبدالحليم عبدالله، غرام حائر، دار مصر للطباعة ، القاهرة 1997ص 5

[13] غرام حائر ص 10

[14] غرام حائر ص 19

[15] غرام حائر ص 20

[16] غرام حائر صر41

[17] غرام حائر ص 45

المصادر والمراجع

<u>المصادر</u>:

محمد عبدالحليم عبدالله، الوجه الآخر، مقالات في الأدب والفن والحياة ، مكتبة مصر، الفجالة، القاهرة .

محمد عبدالحليم عبدالله، بعد الغروب، مكتبة مصر، القاهرة . الرواية الحاصة على الجائزة الأولى لوزارة المعارف المصرية 1949

محمد عبدالحليم عبدالله، غرام حائر، دار مصر للطباعة ، القاهرة 1997.

<u>المراجع</u>:

أحمد درويش، مقدمة كتاب "فن الترجمة والسيرة الذاتية" لأندريه موروا، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى 1999.

بول ريكور، الزمان والسرد، التصوير في السرد القصصي، ترجمة فلاح رحيم ود. جورج زيناتي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان 2006.

حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1984.
صالح سليمان عبدالعظيم، سيسولوجيا الرواية السياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1998.
فيصل دراج، الواقع والمثال، مساهمة في علاقة الأدب بالسياسة، دار الفكر العربي الجديد، الطبعة الأولى، لبنان 1989.
قاسم بن موسى بلعديس، بنية الخطاب الروائي عند محمد عبدالحليم عبدالله ، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري بقسنطينة، الجزائر 2006 .
لوسيان جولدمان، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، ترجمة محمد سبيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، الطبعة الأولى، لبنان 1984.
مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، معهد الإنماء العربي، لبنان، الطبعة الرابعة، 1986 .
ممدوح فراج النابي، رواية السيرة الذاتية، دراسة في التأصيل والتشكيل، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 2011 .